

الفصل السادس

تحليل اللعب النفسية

تتبع الألعاب النفسية قواعد لا تتغير تقريباً. فهي تبدأ بانطلاقة تشبه صفارة الحكم في بداية مباراة لكرة القدم، أو رمي النرد في بداية لعبة من الألعاب، يتبعها رد فعل سيحدد توزيع الأدوار. ثم تتقدم اللعبة بحركات كبيرة من الحوارات المفخخة، كما تحرك البيادق على رقعة الشطرنج. وستطول اللعبة أو تقصر وتشتد بحسب تعطش اللاعبين الباحثين عن الإثارة عبرها. وعندما يشعر أحد الطرفين بالاكتهاء من المثيرات، فإنه ينهي اللعبة بحركة مسرحية. إن العواطف التي تسود في نهاية اللعبة هي الذهول أو السعادة الزائفة أو الشعور بالخيانة أو النصر. مكافأة المشاركة الفاعلة في اللعبة هي السلبية التي سيلوكلها اللاعبون مدة طويلة.

لنستعرض قواعد اللعبة واحدة واحدة.

الطُعْم:

هي الكلمة أو العبارة أو الموقف الذي يوقع شريك اللعبة في الفخ. والغاية منه إثارة ردة فعل عفوية عن طريق التركيز على نقطة ضعف المُحاور.

إليكم بعض الأمثلة عن الطعوم:

- «لا تعقل درجة التشابه بينك وبين أمك».
- «قل لي: لقد سمنت كثيراً؟».
- «على الرغم من القناعة الأكيدة بأن الإجابة ستكون لا: «هل أديت واجباتك المدرسية؟».
- «عزيزي، عليك أن ترتب المرآب في نهاية الأسبوع».

إن من يرمي الطعم يقوم عادة بعدة محاولات قبل أن يجد النقيصة التي ستسمح له بتطويع شريكه في اللعب. لقد أتحت لي الفرصة حديثاً لمشاهدة مناورة للاعبة مثث كانت تحاول اختباري لاكتشاف نقاط ضعفي. فقد أطلقت موضوعات للنقاش يمكن لها أن تكون شائكة (الوزن والسن والمظهر الخارجي، المال والزملاء والعمل، والعلاقات العاطفية، والحالة المحزنة للعامل...) وتحت غطاء دردشة اجتماعية، غيرت بسرعة الموضوع عندما لاحظت أنني «لم أعض على الصنارة» ثم بدأت بإمطاري بعدد من الأسئلة الوقحة. وقد أزعجها اتزاني أكثر فأكثر. فقامت بالتلفظ بأمر فظيعة على أمل أن تجعلني أثور أو تصدمني أو تقلقني، وعندما يئست من إيجاد النقيصة، كانت مليئة بالغضب الذي لا تستطيع حبسه، وأنهت الموضوع والسم يقطر منها وقد أدارت ظهرها: «الحق معك بأن تُظهري أن أمورك تسير على ما يرام. فنحن لا نريح شيئاً عندما نُظهر للآخرين أن الأمور لا تسير على ما يرام» لقد تسليت وأعجبت بمهاراتها وقدرتها على إخضاع عدد كبير

من الاختبارات في أثناء وقت قصير، ولكنني كنت عملياً منهكة! فهي مع أنها لم تستطع أن تجعل لعبتها تتقدم، ولكنها استنفدت الكثير من طاقتي.

يمكن للطعم كذلك ألا يكون بالضرورة كلاماً، فالزفرة ورفع العيون للسماء ورفع الكتفين، والابتسامة الهازئة، وبعض الأصوات المختلفة: كالنخير والسعال والتمطق واحتكاك الملف البلاستيكي... والكثير من الرجال يخبرونك: بأن استخدام الكنسة الكهربائية في غرفة الجلوس في أثناء مراقبتهم لمباراة كرة قدم على التلفاز هي طعم يعادل إعلان حرب! وعندما يقوم الطعم الذي يُدعى كذلك مصيدة الأغبياء بدوره كاملاً، فإنه سوف ينغرس في نقطة ضعف الشريك المحتمل للعبة، وسيحرض عنده ردة فعل عفوية، وهذا يعادل: آخ (لفظ للتعبير عن الألم).

نقطة الضعف:

نقاط الضعف هي النقاط الحساسة التي تجعل منا ضعفاء ونزقين. وقد يكون هذا ضعفاً جسدياً أو نفسياً نحاول إخفاءه، أو خوفاً يجعلنا ضعفاء، أو قيمة من القيم لا نتحمل أن نراها يُعبث بها من قبل الآخر. للتعرف إلى نقاط ضعفك، بإمكانك أن تطرح على نفسك الأسئلة الآتية:

- من ماذا أشعر بالخجل؟
- في أي المجالات أشعر بالضعف أمام الإطراء؟
- ما الشيء الذي أكرهه كثيراً في هذه الحياة؟

- ما المقدس عندي؟
 - ما نوع العبارات أو التصرفات التي تجعلني أثور؟
 - ما الشيء الذي يولد لدي الشعور بالذنب؟
 - في أي مجال تتولد عندي ردود فعل يمكن أن أصفها بأنني لا أستطيع السيطرة عليها!
- مثلاً: «إن الأمر أقوى مني، فأنا لا أستطيع تحمل الظلم، فبمجرد أن أرى رجلاً يُظلم لا بد لي أن أدافع عنه!».

الإجابة التلقائية:

عندما تصاب نقطة الضعف فإن الشخص يصبح غير متوازن، وليدافع عن نفسه فإنه سيستجيب بعفوية ودون تفكير ومباشرة؛ لأن الأمر يتعلق بالأحاسيس. وستكون ردة الفعل أشد عنفاً كلما كانت نقطة الضعف شديدة الحساسية. وإليكم بعض الأمثلة عن ردود الفعل العفوية: احمرار الوجه، والتلعثم، والتسويغ، وعرض المساعدة عفويًا، والسُّخْط، والصراخ، والبكاء، والوعود أو الحلف، وإعطاء المال.

توزيع الأدوار:

إن اللاعب الأول يختار زاويته في المثلث، ومنها يبدأ برمي طُعمه. أما ردة الفعل العفوية للاعب الثاني فسوف تُحدد أين سيكون موقعه في هذا المثلث. فمثلاً تقترب منك زميلتك في العمل... وقد بدا عليها

التأثر: «قولي لي بربك: ماذا هناك؟ فوجهك يبدو عليه الانزعاج! هل الأمور سيئة؟ هل لديك مشكلات؟ أتريدني أن تخبريني عنها؟» يمكنك الإجابة بقبول شفقتها: «ليس الأمر مهماً، ولكن ما حدث فقط هو... إلخ...» أو أنك تثورين قائلة: «إن وجهي كالعادة، وكل الأمور تسير على ما يرام». أو تزيدين: «هذا الأمر لا يعنيك!، وهكذا ففي مواجهة شخص نصب نفسه منقذاً يمكننا أن نقبل دور الضحية، ومن ثم نقبل المساعدة، أو نؤدي دور الجلاد برفض المساعدة.

تبادل المهارات المفخخة:

ابتداءً من الزاوية التي اختارها يبدأ كل لاعب بإطلاق عباراته والرد على عبارات الآخر. وتكلم هنا عن مهارات مفخخة؛ لأن ما يميز هذه الأحاديث هو عدم الصدق والمباغة. فنحن نختلف على أمور لا تمت للمشكلة الحقيقية بصلة، وكل اللاعبين يعرفون أن الموضوع الأساس بعيد عن النقاش الدائر. فالانفعالات خداعة، وبعض وجوه المشكلة يُعمى عليها. وسوء النية بادٍ للعيان. وهكذا يزيد التوتر وتعلو نبرة الكلام.

وهكذا تشاجر زوجان طويلاً في مكتبي بخصوص أعواد تنظيف الأذن القطنية، والمياه المعدنية التي نسي الزوج أن يحضرها. وإنه بطبيعته منقذاً من الطراز الأول، ويشعر بأنه ضحية الظلم، فإنه كان صرفه معتزراً بأن لديه الكثير من العمل، ولا يستطيع التسوق بانتظام بالقدر الذي تطلبه منه. أما المرأة المتسلطة فقد بالغت في النتائج

الوخيمة لإهماله: لقد اضطرت ابنتهم الليلة السابقة إلى شرب ماء الصنبور، وهذا عمل إجرامي بحقها، وهي لم تستطع القيام بتنظيفها كما يجب، عندما قامت بإجراءات الحمام دون أعواد القطن الثمينة. واضطرت البنت المسكينة أن تذهب إلى المدرسة وأذاتها مقرفة، ويبدو ظاهرياً أن الأمر برمته عبثي. فكان من الواضح أن صحة الطفل وأعواد القطن والماء المعدني لم تكن سوى أعداء. فماذا كان المقصد من وراء الموضوع؟ وقد ظهر السبب الحقيقي وراء النزاع على السطح عندما قالت السيدة بتقرز واشمئزاز كبيرين: «على كل حال نحن لا نشترك في تعريف النظافة!».

فقد تزوجت هذه الحمامة البيضاء المسكينة ذلك القذر الدنيء المقرف، ولكي يثير كل منهما حنق الآخر، كان على كل منهما أن يبائع في صفاته. هي عن طريق استخدام المزيد من ماء جاقيل، وهو عن طريق إطالة المدة بين الحمام والآخر!

في بعض الألعاب ولا سيما المُعقدة تبقى المُلانسات لبقة وغير عدوانية ظاهرياً، على الرغم من وجود عنف دفين يمكن كشفه، وتبقى الأسباب الحقيقية مخفية في العمق وعدة سنوات أحياناً، قبل أن تصعد إلى السطح بعنف يتناسب مع الجهد الذي بُذل لإخفائها.

في المسرح والسينما ندعو للحظة الأكثر توتراً في القصة «العقدة»، وذلك لحظات قبل حلها. وهكذا، فالمهاترات المفخخة سوف تنقل

شركاء اللعبة إلى درجة من التوتر الأعظمي، وعند تجاوزها يشعر أحد الطرفين أن من حقه أن يفجر الحدث المفاجئ الذي سيختم اللعبة.

الحدث المفاجئ «الحدث المسرحي»:

يقول إيريك بيرن: إن الحدث المفاجئ يُعادل تسجيل هدف أو «موت الملك» في الشطرنج. فأحد اللاعبين يُخرج فجأة ميزة (جوكر) من جعبته ويرفعها باعتزاز، مولدًا الدهول عند اللاعب الآخر. هذا الحدث المفاجئ هدفه قلب الأدوار في المثلث الدرامي. وتتوقف اللعبة عند تغيير الأدوار لأحد اللاعبين على الأقل. وفي مثال الزوجين المتنازعين على أعواد القطن جاء الحدث المسرحي من السيدة التي لم تكن تهدف من وراء تعليقها على نظافة السيد إلا إلى إذلاله أمامي، وذلك بنقله من دور الرجل المنهمك في عمله (دور مشرف) إلى دور الرجل المهمل (دور مخز).

التشوش والفوائد السلبية:

إن مبادلة الأدوار هذه تسبب إزعاجاً أو ذهولاً عند الشركاء. ثم يشعر كل منهم بإحساس غير مُريح يمتلكه: غضب أو حزن، أو شعور بالذنب أو الخجل أو اليأس، أو الإحساس بالنصر أو الضغينة. ويدوم هذا الشعور مدة طويلة نوعاً ما، ويترك آثاراً مؤلمة.

فاللعبة تشغلنا في أثناء حدوثها، ولكن ذكراها المؤلمة سوف تسيطر علينا، حتى اللعبة القادمة. وهذا ما ندعوه اجترار السلبية الذي حدثتكم عنه سابقاً، والذي سوف تقوم به طويلاً. سوف نستعرض في ذاكرتنا

العبارات التي تبادلناها، ونعيد كتابة الحوار الذي دار في عقولنا، وذلك حتى نجعله أكثر حدة وأشد وقعاً على النفس، وبالتأكيد ليس بهدف جعله أكثر انفتاحاً وإصلاحاً سوف نتخيل المشهد نفسه مئات المرات حاملين بأننا انتصرنا، أو أننا أفحمنا الخصم بعنجهية...

في نهاية اللعبة يوجد خاسران، وذلك على الرغم من أنه يبدو أن أحد الخصمين قد فاز، ولكن فوزه هذا يورثه بهجة سيئة الطعم. إن فرحة الانتقام هي عاطفة شائنة. إنها خللٌ يحرق معدة الرايح، متكرراً بشكل شامانيا، ونحن نعرف تماماً أن الخلل لا يصنع إلا مُخللاً!

أمر تقليدي شائع: الواجبات المدرسية:

إيكم أمراً شائعاً جداً في الألعاب العائلية: الواجبات المدرسية. إن من مهام الوالدين مساعدة الأطفال في النجاح في مسارهم التعليمي، ومن ثم مراقبة ما يفعلون. ومع ذلك فإن المساعدة في أداء الواجبات المدرسية تشكل في كثير من الأحيان تربة خصبة جداً لممارسة ألعاب المثلث بين الأبوين والأطفال. وسوف تدور بين «الصفير المُدلل عند أمه»، ووالدته «الأمهات هن عادة من يقمن بهذا الدور» مواجهات حقيقية ذات دوافع خفية متعارضة. فالأم تريد أن تتأكد من أدائها التربوي، ويريد الطفل أن يثير اشمئزها الدائم - إن استطاع - حتى لا تتدخل في موضوع واجباته المدرسية.

تدور أحدث اللعبة عادة كما يأتي: يقوم أحد الوالدين المليء بحسن النية بأداء المهمة بمنتهى الشجاعة. ولكونه صبوراً وجاهزاً ومتشرباً

لدوره بوصفه مربياً، فإنه سيبدأ اللعبة بالطريقة التقليدية: «أرني دفتر واجباتك المدرسية»، وابتداءً من هذه اللحظة سيبدأ الطفل في إبداء مقاومة ورغبة في التخريب قلما نشاهدها إلا في الأنظمة السياسية المستبدة:

● يبدو مخادعاً فيما يتعلق بواجباته، فهو مثلاً لم يُسجل رقم الصفحة التي يوجد فيها التمرين 12، ومن ثم فالتمرين لا يمكن العثور عليه في كتاب الرياضيات.

● يحاول أن يزيد الأشياء غموضاً بدل توضيحها.

● يظهر الطفل مضطرباً و ذاهلاً وقليل التركيز.

● يبدو في هيئة المغفل و البليد، وقد يصل درجة الغباء إذا طلب منه أداء مهمة كالبحث في القاموس...

وعندما يصل الوالد إلى حد الإشباع، فإنه يتبنى لهجة المغفل؛ ليقطع عليه كلامه باستمرار قائلاً: «إنني لا أفهم شيئاً» في بداية كل شرح يقدمه الوالد. ومع الوقت يبدأ الغضب يصعد بالتدرج ويتراكم في نفس الوالد. ثم تتابع الزفرات اليائسة في سرعة متزايدة حتى ينفجر الغضب، وتستخدم العبارات الدنيئة مثل: «ابن الأبله!» ولإنهاء اللعبة، فإن الطفل المدلل المسرور لكونه أفسد خطة والده يؤدي دور الضحية التي رُميت؛ لتقتربها الأسود، بعينها الواسعة البريئة المليئة بالدموع، ويصل إلى إشعار مُعذبه بالذنب.... وذلك حتى الجولة المقبلة. هذه الطريقة السلبية والعقيمة تعطي الوالدين شعوراً بالعجز

والياس المتزايد، في الوقت الذي تمنح الصغير المدلل قوة كبيرة وتخلصاً من العقاب يزداد مع الوقت. وهذا سيكون له أثر سلبي في مستقبله؛ لأنه سوف يسيطر على موضوع العمل المدرسي. يعرف المدرسون أن المساعدة في أداء الواجبات المدرسية تحدث دائماً هكذا. ولذلك فهم يفضلون أن يمارس الأبوان مراقبة خارجية ولو وُصفوا بالتسلط، بدلاً من أن يروهما متورطين في محتوى الدروس بصفة منقذين. يكفي أن يتأكدوا أن التمارين قد حُلَّت، وليس أنها حُلَّت بشكل صحيح، وأن الدروس قد دُرست، وليس أنها فُهمت. وهكذا يمكن للوالدين أن يكونا مفيدين لأطفالهما، ويسهلا عمل المدرس! لتساعدوا أطفالكم حقاً اجعلوهم مستقلين في الاهتمام بواجباتهم المدرسية، أوضموا إلى جهودكم خدمات مُعيد للدروس حيادي ومهني.

مثل هذه اللعبة التي سميناها «دفتر الواجبات»، توجد العديد من الألعاب التقليدية، ويمكن التعرف عليها في مجالات عدة من الحياة اليومية. وقد حُددت وجمعت عن طريق التحليل السجالي، وإليكم شرحاً لها.

